

# ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة

تأليف الدكتور علي جواد الطاهر

في اعقاب عنوان الخامس من حزيران الذي تعرضت له الامة العربية ، اثرت مناقشات كثيرة بين الادباء والباحثين ، حول الدور الذي تلعبه مؤسسة فرانكلين في حياتنا الثقافية والادبية ، ونوزعت الاراء بين مشكك محذر وداع لمقاطعة هذه المؤسسة والاعراض عن التعاون معها بالنسبة للكتاب والترجمين ، والامتناع عن تداول مطبوعاتها والتعويل عليها في الشكف والاطلاع بالنسبة للقراء عموماً ، وآخر ظل ميقياً في فراراته على قدر من التحفظ ازاء مرامي هذه المؤسسة المتسبوهة ومفاصدها من حمل كبار الادباء والكتاب واساندة الجامعات في مختلف أنحاء الوطن العربي ، ممن لا ينظر الشك الى اخلاصهم واستقامتهم وسلامة مواقفهم من القضايا الوطنية والقومية ، هذا الى غزارة علمهم وعمق ثقافتهم واصالة ادبهم ، وبينهم من سلك في عداد الرواد واعلام الجيل الاول الذي ساهموا في تطوير فكرنا وتجديده ، غير انه لا ينزع الى التهوين من خطورة واهمية بعض المؤلفات والكتب المترجمة التي صدرت عنها في طور واخر ، بالنسبة للقراء العرب ، حيث تقدم في مضامينها ومعطياتها اي اتجاه فكري ضار هادف الى تسميم اذهانهم وعقولهم او تحرير بعض الافكار والافاهيم الاستعمارية او تبرير المواقف والاجراءات التي تعتمدها السياسة الاميريكية من آن لآن ، ازاء قضايا المحرر الوطني ، على نحو ما يفترض ذلك ويسوغه ويرجف به اولاء الذين يحفظون مؤسسة فرانكلين بعض خدماتها ومجهوداتها ، ننذكر هذا وشبهه بان شروعا في مطالعة كتاب الدكتور علي جواد الطاهر : ملاحظات حول الموسوعة العربية الميسرة ، حيث يذكر في مقدمته انها : « صدرت بالمعاصرة عام ١٩٦٥ م عن دار الفلم ومؤسسة فرانكلين بالفي صفحة ، مع ٣٠ ص للخرائط واللوحات .» ويعود ذلك الى التعريف بتجنيدها وتطويرها لممكنات وطاقت اكثر من مائة استاذ جامعي او اكثر ، واعتمادها على خبراتهم في جمع المادة الادبية والتاريخية واللغوية وتنسيقها وتبويبها وتصنيفها ، وحين يومية المؤلف الى اسماء بعضهم ، وجلهم ممن لا تنكر عليهم غزارة علمهم وسعة اطلاعه ، وحميتهم البالغة في ربية اجيلنا الطالعة واندفاعهم في مجال التثقيف والتنوير ، بل الوطنية بالنسبة لبعضهم على الاقل ومناصرتهم لحرركات التحرر في العالم ، فانه يحمل الفارئ على الاستغراب من دوافع مؤسسة اجنبية في اصدار موسوعة ميسرة نضعها في متناول المعلمين وتغنيهم بها عن تداول المظان والمراجع الكبرى ونؤهلهم لان يصيروا الى قدر مناسب من الاستيعاب والدراية والتحصيل .

وليس وكل الملاحظ ان يدل على هذا او يثيره في وعي القارئ راميا منه الى التحذير او الزهيد . انما نصب ملاحظاته على الاخطاء والمزاق والهفات التي وقع فيها المشرفون والمديرون والمصنفون ، ومنها ما ينسلك في مجالات التاريخ والحضارة واللغة والادب ، وبداها ان تلمس هذه القصورات في مواضعها من الموسوعة ، يحوج رصيذا هائلا من الشكف والدربة والذاكرة القوية ، مما تضيق به ممكنات انسان فرد ونقص عنه ونفرط فيه ، ودفع هذا الاعتراض ان الملاحظ وان تخصص في دراسة الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ، فانه ملم الماما قد يكون يسيرا ، او بالفا بالادب الفرنسي بحكم اقامته في باريس رداً من الزمن للدراسة في جامعتها ، وارتياحه لمكتباتها ومتاحفها واثارها ، هذا الى انه ممن يقرون بتداخل اوجه المعرفة وتمازجها ، فدارس الادب لا يفني عن التزود بالمحصلات الفلسفية والتاريخية الفلسفية والتاريخية او يلوي عن معطيات علم النفس والجمال ونظرياتها ، وذا غير تعريف القدامى للادب وتفسيرهم له واعتباره احداً من كل طرف بتصويب فالاديب المعاصر لا يعني بالوقوف على هاته المناحي والجوانب الفكرية المتعددة الا ليعمق نتاجه ويؤصله

# النتاج الجديد

## التكسب بالشعر

تأليف الدكتور جلال الخياط

منشورات دار الآداب - بيروت

لا يسعنا الا اكيار الجهود التي بذلها الدكتور جلال الخياط قسي وضع رسالته «التكسب بالشعر» . يكفي ان نذكر انه استنفد مصادر البحث بمراجعة اكثر من خمسين مصدرا بين قديمة وحديثة ، وذكر في الهوامش مصدر كل من اقتباساته الصديدة ، جامعا كل ما امكنه جمعه حول الموضوع من اخبار ونوادير واحكام وتطبيقات ، وزود الكتاب بفهرس كامل للاعلام مستوفيا بذلك شروط البحث العلمي .

وقد استعرض شعراء المدح ابتداء بالاعشى وانتهاء بالتنبسي وبعض شعراء المدح المعاصرين ، فأورد نماذج من شعرهم الكسبي مضيافا آراء معاصريهم او رايه الخاص وآراء بعض معاصرينا فيهم الا ان الفارئ الذي يجد في مطالعة الرسالة متعة وفائدة قد يخطر له ان يسأل لماذا كثر المدح في الشعر العربي هذه الكنسرة الهائلة ، ولماذا نعددت اغراض الشعر بالمدح والثناء والهجاء والفضول فقيدت الشعراء تقييدا حتى استغرقت القسم الاكبر من ديوان كل منهم . هذا السؤال وما يتصل به لا ينال اهتماما كافيا لدى المؤلف . كما ان استخدام شعر المدح ، القديم منه والحديث ، قد يكون من صنف القول الجارف . ففي المدح فصائد جيدة بالخلود منها «بانث سعاد» لكعب بن زهير في مدح النبي ، بائية التابفة فسي الضاسنة ، بعض مدائح ابي تمام والبحثري والتنبي والبوصيري ، التي عدل فيها اصحابها عن اسلوب الافدمين وادمجوا في مدائحهم الحكمة والوصف الطريف المركز .

ان التكسب بالشعر ، كالتكسب بغيره من الفنون انجميلة ، وجد عند جميع الشعوب لان الفن ارتبط منذ نشوئه بخدمة الجماعة كما بخدمة الفرد ، وكانت مهمة الفنان التوفيق بين الفايئين فلا يضحي باحداها في سبيل الاخرى . ويختلف الفنانون بمفاسدار نجاحهم او فشلهم في هذا التوفيق .

لقد جنى على الشعر العربي ظاهران . الاول محدودية الانواع الادبية التي عالجها . فقد جهل العرب النوعين الملحمي والتمثيلي اللذين عدما اليونان ارفع انواع الشعر لما يتضمنان من فلسفة اجتماعية . وقد اتيح للشاعر اليوناني ان يتكسب بما ينتجه من شعر تمثيلي او ملحمي من غير ان يستعبد لمدوح ويقف عليه شعره كما فعل اكثر شعراء العرب . لان كلا الشاعرين الملحمي والتمثيلي يخاطب الجمهور لا الفرد .

اما الظاهرة الاخرى التي جنت على الشعر العربي فهي سيطرة التقليد على الشاعر وجهله ان الشعر خلق لا تقليد ، كما ان الحياة تطور لا جمود . من هنا تحدد الشعر العربي بنوع واحد واغراض تقليدية هي المدح والهجاء والغزل والثناء وما يشق منها .

وقد لا تكون مخطئين اذا قلنا ان شعر المدح والهجاء يحيا في عصرنا تحت اسم جديد هو الدعاية والاعلان . وكما توجد الخطيب الدعائية والمقالات والابحاث والتواريخ والقصص الموجهة التي يقصد بها بث المبادئ السياسية والاجتماعية التي يجسدها افراد نابهن ، كذلك يوجد شعر الرفض وشعر النضال العقائدي والقومي وسائر الانواع التي تجاري شعر المدح والهجاء في الهدف وتختلف عنه قالباً وموضوعاً .

كان المدح والهجاء قديما اهم وسائل الدعاية اما اليوم فقد تنوعت الوسائل وتلوت وازدحمت والقرض واحد .

روز غريب

ويثريه أنسانية ، قبل ان يقتصر به على الاداء اللفظي والتزويق البياني لكل ظاهر قريب من الافكار والمعاني .

وعندي ان التصحيحات والتصويبات والسفييات التي ضمنها الدكتور علي جواد الطاهر كتابه حول الموسوعة العربية الميسرة ، لا تعدم كثيرا من الدلالات ، فمنها انها فريت الى افهامنا أسماء كثير من الاعلام والجنود المجهولين من مردي الدراسات العربية، ممن تنوسيت عوارفهم ولم يعودوا موضع نذكر أو ادكار ، او يعول على مانوراتهم ورجوع اليها وانطلاق منها في الدراسات والتقييم ، فمن هؤلاء المنسيين المضييعين : احمد راتب النفاخ محقق ديوان ابن المدينة الذي لم تذكر الموسوعة أن له ديوانا ، والسيد محمد بدرالدين العلوي الذي حقق عام ١٩٢٤ م شرح المخاض من شعر بشار لابي اسماعيل بن احمد بن زيادة التجيبي البرقي !! والاستاذ حسن السندي مؤلف كتاب ادب الجاحظ والمعي باحياء كثير من المانورات والمصنفات القديمة ، والطاهر بن عاشور محقق مجلة من ديوان بشار، فهؤلاء المحققون المريدون الاربعة عاشوا في عقود هذا القرن وعملوا في مجال التأليف والنحقيق ، دون ان يوسع عليهم في مجال الذبوع والشهرة، واقتصر رصيدهم منهما على القلة من ذوي التفقه والاختصاص .

ويبدو ان المؤلف ممن يتطلبون الكتاب ان يمارسوا اللغة عن علم ويحيطوا بادبها عن دراية ، ويعالجوا بيانها عن فقه ، ويصدروا به عن طبع ، وكذا نهد هذه المرة لتصويب ما انجر اليه كتاب الموسوعة من ضعف في الاداء وبهافت في الصياغة ، وحيدة عن التوفيق في استعمال المفردات ، لما وضعت له من الاغراض واخصت به من المعاني ، وحين تذكر الموسوعة ان يوادجار الن ، وافته المنية بسبب افراطه في الشراب ، يعقب ان « الشق الاول من الجملة غير متنسق مع الشق الثاني ، لان وافته المنية بوحى بما يكرم الاسم المذكور بالحالة التي مات فيها ، كان تكون المنية فد وافته في احد ميادين الشرف ، لذا كان بإمكان الموسوعة ان تكتفي بالقول : مات بسبب افراطه في الشراب » . ومن قبيل ذلك تعليقه على قول الموسوعة: ان صلاح الدين الايوبي بطل ومقاتل مسلم ، فيلبي ان « كلمة - مقاتل - نائية وهي مما يمكن ان يصفه بها الفرييون ، أما في موسوعة عربية ، فيمكن الاستغناء عنها او استعمال شجاع او فارس بدلها».

وشبهه ايضا تحديده لمدلول عبارة : « استفحل امره في جبل بني العروس » التي ذكرتها الموسوعة بخصوص الشاعر المغربي احمد بن محمد الرسولي ، اذ يخاله تعبيراً راميا الى « الحظ من شان من يعسود الضمير عليه والاولى فيه ان يصد عن فرسي في نائر مغربي عربي » . وقد جرى الدكتور الطاهر في اجزاء ملاحظاته وتعقيباته ، على

تتبوع واستقصاء ما يتعلق بالكتب والحوادث والرجال ، من الدقائق والشؤون ، ومن القرابة ان يتكفل بضبط الاسم الصحيح لمؤلف بندلي جوزي ، من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، بعد ان ذكرته الموسوعة باسم « تاريخ الحركات الاجتماعية في الاسلام » ، ويشير الى اعادة طبعه في بيروت ، ولا يتوه بما صحب ذلك من ردود فعل قوية حيث طبعه احدهم ونسبه لنفسه ذات يوم ، وانبرى غير واحد لنديد بهذا التجاوز وفضحه ، كالاستاذ عبدالرحمن الشرفاوي في مجلة الفد المصرية المحتجة عام ٥٤ هـ ، وكذلك مجلة الاداب التي دلت على مؤلفه الحقيقي ، فاعيد طبعه باسمه عن دار الروائع ، وكان حربيا بالملاحظ ان يستنرد الى هاته القضية الادبية ويفصل حولها .

كما فاته ان يصحح ما نص عليه اصحاب الموسوعة حو تاريخ ظهور دائرة معارف القرن العشرين للمرحوم محمد فريد وجدي وعدد مجلداتها ، ويبدو انهم عولوا في ضبط مادتهم بصدها على معجم المنجد الملحق بمنجد لويس شيخو والذي اعده الاب فردينان تول، فجاء فيه انها تقع في عشرين جزءا ، وظهرت عام ١٩٢٨ م ، وفي

محفوظنا ان دائرة معارف وجدي بمجلداتها العشرين في حسابان الموسوعة او العشرة كما يظن الدكتور الطاهر ، طبعت قبل هذا التاريخ بزمن بعيد ، وبالرجوع الى ديوان الجواهري ، الجزء الثالث المطبوع عام ١٩٥٢ م ، تطالعنا قصيدته العامرة : الثورة العراقية، التي نظمها في اعقاب ثورة العشرين ، يوم تم يتجاوز عمره العشرين عاما ، وكان لالكم القصيدة وقع في الاوساط السياسية والصحفية في بغداد ، ويرى الاستاذ الجواهري ، في تقديمها ان من دواعي حفظ الواضع والتاريخ ان يذكر الجيل المعاصر بما نأنته قصيدته من الاعجاب والاستحسان « بحيث ان المرحوم الشيخ مهدي الخالصي واحد كبار العلماء الذين اشعلوا نيران الثورة وعرضوا لاذى الختليين والسلطات العراقية نفسها عبر عن نأنته بها بهدية علمية نفيسة ارسلها الى الشاعر هي مجلدات دائرة المعارف للمرحوم فريدوجدي»

والقصيدة ذي هي التي طالما استشهد بابيائها الدكتور الطاهر ، ونوه بقيمتها وعظائها الفني ودالها السياسية ، في كل مرة يذب فيها عن الجواهري حين يستهدفه خصامه من السياسيين والادباء بالافتئات والتجني ، والتجريح والتحامل :

لعل الذي ولي من الدهر راجع فلا عيش ان لم تقب الا المطامع  
غرور يمني الحياة وصفوها سراب وجنات الاماني بلاسع  
نسر بزوه من حياة كدوية كما افتر عن نقر المحب مخادع  
هو الدهر فارعه يصاحبك صفوه

فما صاحب الايام الا المقارع ،

وبالاجمال فان ملاحظات الدكتور علي جواد الطاهر وتعقيباته على الموسوعة الميسرة ، بغدر ما ندل على وفرة محفوظة من اشتات العلوم والاداب ، ومكننه من ضبط الوقائع والحوادث ، والمامة بالمظان والمراجع، وتصفحه لامهات المانورات والمصنفات ، فانه اذ يدل بهادلال التواضع السمع ، والعريض على النفع والافادة ايضا ، والمبرأ من ايما تعالم او تحذلق ، يهدف منها الى استحثاث المثقفين ممن يتسنمون مناصبهم القيادية والتوجيهية والتربوية ، في كافة انحاء الوطن العربي ، لان تتصافر جهودهم الخيرة من اجل « موسوعة عربية ميسرة » اخرى ، لا اثر فيها للخلط والتهافت ، والتفريط والقصور.

العراق - الهندية مهدي شاكسر العبيدي

★ ★

## المطاردون

### مجموعة قصص لزهير الشايب

قضية الغريب القادم من الريف الى المدينة ، قضية مطروقة ومعروفة في الادب الحديث . وقد التقطها زهير الشايب في اولى قصص مجموعته « المطاردون » وربما كانت اولى قصصه القصيرة على الاطلاق كما حدثنا في شهادته اللطيفة ، فتاريخها يرجع الى عام ١٩٦٣ والمجموعة صادرة في عام ١٩٧٠ وهي تضم قصصا قديمة للمؤلف الشاب ، تعبر عن مرحلة فكرية وفنية هامة لا بد وان تخطاها زهير الشايب اذ ان احداث قصص المجموعة كتبت عام ١٩٦٦ . وقد رتب كاتبنا قصصه ترتيبا زمنيا حسب تاريخ كل قصة . وخيرا فعل ليدلنا على تطوره الفني والفكري معا .

والقصة تصور لحظة محددة في حياة بطلها الريفي « فوزي عبد المجيد رسلان » لحظة الخروج من القرية الى المواجهة الاولى مع المدينة الكبيرة القاهرة . وتأخذ القصة في تعميق هذه المواجهة على دفعات صغيرة متتابعة حتى لنفاجا في النهاية وقد رسمت لنا القصة المدينة الواسعة وكانها تضيق بالانسان الريفي الحر . حفا انت تجد هذه الفكرة مطروقة ومعروفة قبل زهير الشايب وبعده . ولكن

الطاء او حتى على الدفاع عن وجودها . ومع ان في هذه الصورة بعض المبالغة الا انها ترد على سبيل التشخيص والكاريكاتورية . انظر الى بطل القصة العجوز العاجز عن انيان اي حركة او تصرف في جلسته البليدة بالقهى - الذي يعني تيار الحياة اذ يجمع بين الشباب والنيوخ - فهو حتى عاجز عن التأمل :

(( وبدأ يتأمل كوبة الماء نصف الفارغة ، وفنجان القهوة الذي انتهى منه من زمن ، والذي غرق في فاعه عديد من اعقاب السجائر . وامتدت يد تحمل الاكواب الفارغة . ونظف المائدة التي يتكئ عليها . . هم بأن يقول للجرسون ابقها لكنه لم يفعل ، وهم ايضا بان يساله عن صديقه مسعود لكنه تذكر انه سال عنه ثلاث مرات من قبل . هذه الذاكرة اللعينة ! يبدو الا شيء في جسده قد عاد يصلح ، فما الذي لا يشكو منه ؟ )) ( ص ٣٢ ) .

كان المطارد في القصة الاولى هاربا من السلطة في المدينة . وجاء المطارد في القصة الثانية وحيدا بفعل قدره وصراع الاجيال . امامي القصة الثالثة فان البيروقراطية هي القوة الاصلية في اضهاد اباطال فضاء (( النور الاحمر )) . وهي قصة ملووفة جدا وعادية . فالوظفون والرؤساء يعيشون في رعب دائم بسبب ما يشاع عن سطوة المدير وبطشه وقدرته على بث العيون والجواسيس وتسمع كل شيء . دون ان تبدو باذرة واحدة من الموظفين تلاحق على قدرهم الوظيفي واضهادهم الذي يصل الى درجة العبودية للمدير . فان (( حذاء المدير الكريب فوق رؤوسهم )) في اي وقت . وبدلنا هذه الجملة على مدى المهانة التي يعيشها الموظفون من جراء حادث مرور مفاجئ قام به المدير ذات يوم منذ عام او يزيد . ان التعليمات تصدر والاوراق توضع وكل شيء يسير باذن المدير المختبئ في لجنة دائمة خلف النور الاحمر المضاء لا يام متتالية على باب حجرته المطلق دوما . حتى اذا ما قدر لاحدهم ان يحتج مرة واحدة على ظلم المدير وان يرفع صوته بكلمة لا وان يضم على رؤية المدير وتحديه باصرار وفوة رغم كل نعمات التخالذ من حوله ، فاذا بحجرة المدير خالية واذا بالمدير في اجازة منذ خمسة ايام واذا بحقيقة الذل والانصياع ورفض الاحتجاج تتكشف جميعها ازاء الوحش الحقيقي الذي يضطهد الموظفين ويظادهم خفية وعلنا ، البيروقراطية .

ولمنا نلاحظ ان زهير الشايب ظل يحافظ على ان يدخر لنا في نهاية هذه القصص مفاجأة ما يكون بمثابة الانارة الكاملة للعمل الفني . فليست المفاجأة هنا من نوع المفارقات القديمة في القصة المصرية والتي النقطنها بدورها من قصص جي دي موباسان . ولكن المفاجأة تجيء نتيجة لتراكم التفاصيل الدقيقة المتتالية في القصص لتمثل كما هائلا من الحقيقة يفضي بدوره الى تغير كيفي لسدى القارئ فتأتي المفاجأة الاخيرة من سياق العمل الفني ومن صنع الكاتب الفنان المناني والدؤوب . اما ان القصص تسير في خط تفليسي وسرد تقليدي وتحافظ على روح الحكاية والتسلسل المنطقي فذلك امر لا جدال فيه ولكنه لا يعيب العمل الفني لانه متمائل مع تقليدية الحياة التي تعبر عنها القصص ، فمن اين يأتي التجديد في هذه الحياة التقليدية الجامدة المتخلفة . وما دام الشكل مطابقا للموضوع ويعخدم جيدا المضمون الذي اراده الكاتب بكتابة هذه القصص فليس ثمة ما يؤخذ على تقليدية القصص . فان الشكل يرد لخدمة المضمون وليكونا معا نسيجا واحدا متماسكا ، وهو ما نجحت في ابرازه هذه القصص لزهير الشايب . وعندما تعرضت احدى قصص المجموعة (( المهرجان )) لتناقش واقعا سياسيا متقدما نوعا ما عن الحياة الريفية فانها سرعان ما استخدمت اسلوبا متقدما كتيار الوعي والفلاش باك والونولوج الداخلي والنقلات السريعة والضمائر المختلفة . في قصة (( الزيارة )) المكتوبة عام ١٩٦٥ كسابقتها يأخذ الاسلوب الفني واللغوي في التقدم . فبدلا من السرد المنطقي المتتابع يسدا

زهير يعطينا اضافات جديدة في هذا الباب المغربي للكتاب والشراء ان القصة التي بدأت ببطلها متنفع الوداج وافر المهابة والثقة والخياء بنفسه وهو واقف ظهره الى المحطة مستند الى خليفته المطمئنة في القرية متشوقا الى اكتشاف المدينة الكبيرة والسي ذرعها بالطول وبالعرض . لا تلبث ان تنتهي هذه القصة ببطلها كسييرا محطما مطاردا بلا هوية ، لا يجرؤ ان يخطو خطوة واحدة دون الاستعانة بممثل السلطة عسكري المرور .

وطوال ٢٤ صفحة من الحجم المتوسط هي عدد صفحات القصة ، لم تفقد القصة القصيرة اي سمة من سماتها المعروفة بل واهمها ، وهي التعبير عن موقف او لحظة محددة . وكل ما فعلته القصة بصفحاتها الطوال انما هو اثراء للعمل الفني وللمضمون الجيد للقصة . لقد اخذ الكاتب في حياكة قصته في نسج دقيق وتفاصيل بسيطة وعادية ، ثم اخذت الخيوط تجمع والتفاصيل تتراكم حتى خرجت لنا القصة مكتملة اتبناء واقية الفكر والمضمون .

فمع ان بطلنا رجل ممتاز في قريته جاء المدينة واعيا بالاعيب المختالين والنشالين ، الا انه تنبه الى خشونة منبسه وقذارته وانتهى الى احساسه بعيب في خلقه وتركيبه الجسماني . ومع انه متنبه جيدا الى خطر النشالين واللصوص ، الا انه نسل . نشلت هويته فضاء تاما واخذ يتعرض لاضهاد المدينة ونواب السلطة فيها . وبدلا من ان يحذر النشالين شعر بصعوبة في تجنب انهامه بالنشل واللصوصية . وبدأ شعوره بالفضالة والغربة والقذارة يقوده الى ان يصبح غريبا ضائعا مطاردا متهما بكل جريمة ، وحتى اسمه بدأ يتجرد منه حتى انتهى الى الفاء وجوده وحرته وصار ماله الى السجن مع النشالين واللصوص الذين نفذهم هوياتهم اما هو فانه السجن الابدي الوحيد القريب الضائع المطارد . وقد استرد حرته عندما اعترف بانه غريب ووحيد وضائع في المدينة اي عندما الفى كل احلامه ونصواته السابقة المنزهة ولذة اكتشاف المدينة الباهرة . وجاءت حرته بناء على رشوة رجل لا يعرفه هو شيخ الحارة ، وجاءت حرته مشروطة بموافقة السلطة في المدينة على ان يسير في طريق محدد وفق الطرق المحددة في المدينة ، والا يتخطى حدوده بمحاولة اكتشاف كل الطرق . لذا عندما سال شرطي المرور عن الاتوبيس الذي يقود الى جهة معينة وتخلي عن حرته في اختيار اي اتوبيس واي مكان ، لم ينظر اليه الشرطي بهشمة ، وسار بكيفية الناس وفق ما يحدد لهم من ارقام اتوبيسات وطرق في الحياة . وهنا فقدت المدينة كل جاذبيتها القديمة ولم تعد اضواؤها ونساؤها بقادرة على الهائه عن جوهر المدينة البشع .

واذا كانت المدينة هي مبعث القربة والوحدة والضياء لسدى (( فوزي عبدالمجيد رسلان )) بطل قصة (( الفريب )) فان غربة بطلسى قصة (( اوراق الخريف )) نابعة من صراع الاجيال ، فكل الحوار الذي يدور على مفهه تكتنفه رياح الخريف وتجرح معها اوراقه الذابلة ، يدلنا على ان قضية صراع الاجيال متكررة وحتمية وانه لا بد للاجيل القديمة ان تنتهي وتفسح مكانها للاجيل الجديدة . وانه لا مفر من القربة والوحدة والضياء تلحقها الاجيال القديمة . وسواء تزوج الرجل وكون اسرة وابناء وبنات ، ام لم يتزوج وظل يعاني الوحدة ، فانه ملاق الوحدة والقربة حتما ، فكل الطرق تفضي اليها ولا مفر من معاناتها . ويبدو ان زهير الشايب اراد ان يعبر عن قضية الابداء الشبان بالرمز البسيط ، فمهما تشبثت الاجيال القديمة باصرار ، فان اصرارها عقيم لانه ضد الطبيعة المتمثلة في زحف العاصفة الخريفية لتخلي الطريق للاجيل الجديدة من الشبان ، اجيال الحب والفضب .

ولقد صور زهير الشايب في هذه القصة بدقته المتناهية كيف تسدل السلبية عناكبها على الاجيال القديمة فتصبح غير قادرة على

هؤلاء اللصوص انضموا الى اللصوص الاخرين وكونوا طابور المطاردة الطويل الذي اخذت المدينة تتفرج عليه في سلبية مطلقة . واذ يستنفذ الشاب الغريب المطارد كل طاقتاه في الهروب من مصيره ويعتريه اليأس في تحقيق احلامه ندى رجله المهمل اذ لا بد هو الاخر مشترك بالفرجة والسلبية في هذه المطاردة ، ينهار الرجل الغريب مضرجاً بدمائه وهنا يظهر الشرطي ممثل السلطة اخيراً خوفاً من مسؤولية ووقع حادث قتل ويحول بين جمع اللصوص وبين البريء . وسرعان ما يكشف الشرطي دون قصد منه مدى برائة الغريب المطارد اذ لا يتهمه احد بالسرقة . وهكذا تتجسد مأساة الربفي الغريب في المدينة وتكرر في قصص زهير الشايب .

في قصة « الرحلة » يدور الحوار البالي بين راكب القطار ، ومعروفة دلالة القطار ورمزية البسيطة ، وهذا الحوار يعق المعنى المألوف للقطار :

« يجب ان نروض انفسنا على هذا ... »

« السفر جزء من حياتنا .. »

« بل حياتنا كلها .. دنيا .. »

وبهذه الكلمات الصريحة يدلنا المؤلف على ان ما يجري في هذه القصة انما يحاول التعبير والاحاطة الشاملة بمشاكل حياتنا . وهنا نصطدم بضياع الناس الريفيين الذين لا يتأسي بهم القطار ولا يترك لهم فرصة لتحاق به الا بالنسلق والمراكب . ويبدو ان السلطة هي القسمة المشتركة في قصص زهير الشايب ، فينمسا يتكلم الناس في القطار ، نمداً امشاكل بينهم على الكراسي وتحول الى عراك دام بينهم لا يتحرك الشرطي مهمل السلطة لفض ائتزاز فيتساءل واحد منهم :

« والحكومة لا تتحرك ؟

« هي في انتظار ان يقتل الناس بعضهم البعض ..

« وبذلك لا يكون هناك مشكلة !

ويأخذ زهير الشايب الكاتب الواقعي في تجربته الرمزية البسيطة لنقد حياتنا التي بدمها لنا عن طريق كلمات الحوار فسي قصته « الرحلة » .

« ياه القطار بطيء .. »

« قديم كالازل .. اركبه منذ طفولتي .. »

وهكذا حياتنا بطيئة قديمة كأنها لا تتحرك .

وحتى اختيار الاغنية في القصة يدلنا على مدى الضياع الذي يلف حياة ابطال زهير الشايب ، فعندما يحاول الركاب طمس ما يجري من مشاكل في حياتهم ، بالاغنية نجية الاغنية معبرة عن ضياعهم « يا بوابور قل لي رايح على فين .. » ويقدم زهير الشايب شرحاً طريفاً متابعاً للكلمات الاغنية ويطبقها على رحلة القطار على الارض وبالناس اما القطار فهو محافظ على بطئه يعج بالاغاني والمنافسات الاقليمية . بينما يحاول اطفال القرى اللحاق به في سباق معه واذ يسبقونه يدركهم فتور غريب فيكفون عن التسابق ويعودون الى اسمالهم وحلهم .. فلا شيء يغريهم بالتقدم .

ولان هذه القصة تتناول الحياة المصرية باوسع معانيها فانها تتخلى عن وجود البطل الفرد لأول مرة في قصص هذه المجموعة . فهنا الناس كلهم ضائعون ضجرون قلقون يعانون من رتابة الحياة وبطء وقعها وتخلفها .

وفي « القضية » احدث قصص المجموعة ( مكنوبة عام ١٩٦٦ ) يعود المتهم البريء الى الظهور . فيوسف حسن عبدالله موظف تحت الاختبار لمدة ثلاثة شهور . وهو قلق حريص على تجنب المشاكل حتى يحافظ على وظيفته طيلة الشهور الثلاثة . ولكن حرصه هذا لم يمنع الاتهام الجائر من ان يلتف حوله وبدينه . فقد وقع ضحية لجنيه مزيف وانهم بتزويره وحاول ان يدفع الاتهام عنه ، او ان ينهرب من ملكيته للجنيه المزيف . غير ان كل هذا لم يقده بعيداً عن السجن في قسم

المونولوج الداخلي في الظهور . وبدلاً من الجمل الطويلة ، تتناثر الجمل القصيرة ذات الايقاع الشعري . وتبدو روح السخرية نسر ظلالها المرحة والمرّة على سطور القصة . وبدلاً من الاسلوب الوصفي تتابع الصور وتتلاحق . وعندما يتدفق المونولوج الداخلي ينساب نيار الوعي لتعرف كيف تدور احلام يفضة رجل بسيط كالخفير القروي « مجاهد عبدالسميع راضي » وكيف ننهي لتتخطم على صخرة الواقع المر . ونرى كيف حركت هذه الاحلام حركة الاستعداد لزيارة المحافظ المرئوبة للقرية . ان « مجاهد » خفير ريفي مجتد نشط في اداء واجبه يشهد له الجميع بذلك ، لكنه بانس تاهل قريته وطموح ايضا . وقد رأى اخيراً في زيارة المحافظ للقرية المتسجب الذي يعلق عليه احلام طموحه وآماله ولا تزيد هذه الآمال عن جنينه علاوة وعن افتتاح مدرسه اعداديه ومنشقى بالقرية ، وعلى ان يأخذ حقه في الظهور بصحف القاهرة على الافضل اسوة بكبار المجرمين الذين يعرّد لهم صحف اعمدتها . واذ يأخذ مجاهد في روف لحظة الفيير الحاسمه التي ستنها زيارة المحافظ لقرينته ولاسره ولحياته باسرها . يمر ركب المحافظ دون ان يشعر به مجاهد . فتتهار احلامه دفعة واحدة . ويعود مجاهد الى سيرته الاولى حيث الذباب والغذارة والرطوبة والمرض . وحيث السعور بالقرية والضياح بعيداً عن السلطة الاقليمية وعن أضواء العاصمة واجهتها .

« المطاردون » هي القصة التي منحت عنوانها للمجموعة القصصية

الاولى للقصص الشاب زهير الشايب . وهو اختيار موفق اذ ينطبق العنوان على جميع القصص التي ابطلها من القرية والضياح والوحدة وتهدهم المطاردة بشكل او باخر . وقد لفت نظري جملة كتبها زهير الشايب في شهادته لجله الطليعة ( عدد سبتمبر ١٩٦٩ ) ندلنا على مفهومه لدور الاديب كناقذ وليس كمهمل اذ يقول :

« ان الاديب رغم احترامه للنظام السائد ورغم وقوفه بجانبه ليدعمه وينتصر له قد يقيم الدنيا ويقعدها لان النظام نظرف ما قد وضع في الحجز واحداً من الناس نبيلة واحدة بطريق الخطأ والاشتباه ، بل وربما لان عدوا لافكاره هو وللنظام الذي يدعو اليه يعامل من قبل النظام بطريقة تهيئ فيه ذات الانسان وانسانيته . ومن هنا فان الفنان اقرب الى التمرد منه الى الثوري . »

ولعل هذا ينطبق جيداً على هذه المجموعة التي نفهم الادب كنقد للحياة .

هنا نتكرر قصة الغريب المنهم بلا جريمة ، الريفي اللاجئ الى المدينة يحمل احلامها فطارده المدينة وتوجه له الانهزامات الجائرة . فهنا شاب تركز حياته في الفرصة المنوحة له عند احد رجال المدينة المحترمين من ذوي قرباه . وهو اذ يحاول الامساك بهذه الفرصة بقوة حتى لا يفلت منه . بدب الشكوك في من حوله . وتبدأ هذه الشكوك بيوافق المنزل الذي اثار شكه سؤال الشاب عن المنزل وعن الرجل المهمل دون ان يلج المنزل . ثم في مجموعة من اللصوص حاولوا الفك بالشاب في الطريق العام فاذا ما أخذ في الفرار منهم بدأوا هم ايضا رحلة المطاردة بندائهم الذي يتهمه هو البريء بالسرقة « امسك .. حرامي » . وتتجمع المدينة في طابور طويل لمطاردة اللص البريء . خلا هذه المطاردة يسقط المؤلف هموم اهل المدينة ايضا بالإضافة الى هموم الشاب الغريب المطارد . وبينما يتهمك الناس في مطاردة اللص البريء متوهمين فيه عدوهم الشرير الذي يمتص حياتهم في المدينة . يستمر اللصوص الحقيقيون في سرقة الناس . فالرشي وجد المحامي الذي يبرئه ليعود الى ابتزاز الرشوة من جديد . وبائع الفاكهسة يصمم على رفض البيع بالتسعييرة التي سنتها الحكومة ومن يريد تسعييرة الحكومة فليشتر من الحكومة . والرجل الذي سرقت نقوده وجاء مشياً على الاقدام من العتبة ، كل

البوليس حيث تلقى من التعذيب والارهاب والتهديد والوعيدواللاينة والخذيفة ما جعله يقر بأنه مجرم فعلا واخذ يقنع نفسه بأنه لا بد قد ارتكب جريمة التزوير بالفعل ونسى! ايجب ان يتذكر كل شيء فعله . وقد افقده الضرب والاهانة كل احساس بالكرامة والبراءة . وعشبا حاول الاحتجاج بان الضرب متنوع وان المتهم بريء حتى تثبت ادانته وان التفتيش بدون اذن متنوع . الا انه تبين له ان كل هذه الضمانات ليست الا حبرا على ورق . وانه يجب ان يعترف بارتكابه الجريمة المهلة عليه حتى يضمن الضابط مكافأته ونفى عن عشيقتهداياها من المقود الزيفية ايضا ، وحتى ينتصر الضابط على زملائه مسن الضباط في المناقصة على نيل رضا الحكمدار .

واذ يقدم المتهم البريء على الاعتراف بجريمة لم يرتكبها تبين له ان كل شيء عبث ، فيأخذ في التلاعب باعصاب المحقق الذي لا يلبث ان يكتشف ان المجرمين الحقيقيين قد قبض عليهم وانهم اعترفوا بجريمتهم وابرأوا متهمنا البريء . وعبئا يحاول الضابط استغلال وجود المتهم البريء في قضية التزييف اذ يسبقه زملاؤه الى اكتشاف كل اركان الجريمة . وهكذا تعود البراءة الى بطلنا . ويكشف لنا زهير الشايب مرة اخرى عن أحد المطاردين ، الذين لا تكف المدينة عن مطاردتهم وادانتهم برغم براءتهم .

ولا تأتي هذه المطاردة بفعل قدرعبي غشوم وانما تنتج من وافع غاص بالالم وانعدام سيطرة القانون وسريان شهوة الاستحواذ على المال ومحاولة الحصول عليه باي ثمن في مجتمع مثله الاعلى النقود . وبلجا زهير الشايب في هذه المجموعة انقصية - التي تقدم لنا اشخاص المطاردين المظلومين الذين يعانون من الغربة والوحدة والضياع - بلجا زهير الى فضيته هذه ليس من اجل فكسرة ميتافيزيقية او عبثية ، وانما من اجل ادانة هذا النهط من الحياة ورفضه .

وقد برع زهير الشايب في هذه القصة وفي قصص مجموعته الاولى عموما في تعميق اللحظة ، وفي تقديم صور الموقف من كافة جوانبه ، الخلفية والامامية ، الشعور والاشعور . . غير أن ثمة ملاحظة عامة على اللغة المستخدمة في صياغة هذه القصص . انها لغة تقريرية بسيطة تكاد ان تكون خالية من الجمال ، فهي اقرب الى لغة الصحف التقريرية الخالية من اية ايحاءات انفعالية . ومع ان هذه الملاحظة تنطبق على الكثير من المجموعات القصصية لكاتب جيل الوسط مثل يوسف ادريس وعبدالرحمن الشرفاوي، وجيل الشايب الذي ينتمي اليه زهير الشايب ، الا اني على ثقة من خلال مطالعة القصص التالية لهذه المجموعة ، من ان زهير الشايب ، عاكف على تجريد ادائه الفنية في دأب وعناية .

القاهرة  
أحمد محمد عطيه

## الليلة الاخيرة في القرن العشرين

قصص قصيرة من الادب الالمانى المعاصر

كتابات معاصرة ، القاهرة ، ١٩٧٠

ينال هذا الكتاب من ١١ قصة قصيرة من ادب المانيا الديمقراطية المرتبط بحياة الشعب ، قام الناقدان فوزي سليمان ونبيل راغب بترجمتها عن الانجليزية بلغة قريبة النال ، ثم عقدا في اول الكتاب وآخره مقدمة ودراسة نقدية تيسران للقارئ العربي الاطاحة بمضمون هذه القصص وشكلها وموافق كتابها ، بحيث لم يدعنا للناقد الا فرصة ضئيلة جدا ، نمثل في القاء مزيد من الضوء على الدلالة الفكرية للمجموعة القصصية المترجمة .

والقصة القصيرة بصفتها عامة - بخلاف الشعر والمسرح والرواية - شكل ادبي اكثر حداثة من التراث الانساني ، شديد الانساق مع عصر السرعة الذي تتصاعد فيه ارتباطات الانسان وتتعدد متعة ، ما

أفدرا على حمل افكار ومشاعر الكتاب بصورة مباشرة مؤثرة ، واجتياح الماضي والحاضر والمستقبل . وما أشد حاجة ادبنا العربي النامي، الذي يجيا حياننا الثورية ، الى ان يتأمل ويسلمهم التجارب العالمية الخلافة لهذا الشكل ، حتى تدعم اتجاهاته التقدمية ، والى ان يفيد من القيم العصرية الحية التي ينبض بها هذا الادب الاجنبي، ويتفاعل معها من فرق الارض العربية .

وهذه المجموعة القصصية التي ترجمها فوزي سليمان ونبيل راغب تنطوي على عدد جم من هذه القيم والعنويات البناء الملهمة ، التي ترفع بالقارئ ، والكاتب العربيين الى مستوى الرؤيه الحضارية ، التي يقدفها هؤلاء الكتاب ، ونبيء عنها كل قصة .

ويرجع هذا بالطبع الى ان كل العصامين الالمن الذين قدمت لهم فصصا ، من الرجال والنساء ومن الكتاب الاحرار ، الذين عركوا الحياة ، وناضلوا ، بالكلمة والفعل ، في سبيل قضايا البسطاء من الحرية والعدالة ، دون ان يفقدوا الامل - تحت الظروف الفاسية التي مرت بهم - فيما يعد به المستقبل من خير عيم ، بدأ يتحقق بالفعل منذ الثامن من ايار ( مايو ) ١٩٤٥ ، وهو تاريخ تحرير الشعب الالمانى من الفاشية .

وقصة « الليلة الاخيرة من القرن العشرين » لاستيفان هيم ، التي اطلق اسمها على المجموعة ، بينائها المحكم المليء بالتنقلات الخاطفة ، تومى الى احدى هذه المعاني انطية ، التي نتم عن تفاؤل غامر ازاء ما تقبل عليه في عصر الفضاء من سيادة التكنولوجيا والاشتراكية والالمام بكل نواحي الكون . فرغم ان عالم ذلك اليوم الذي تدور فيه احداث القصة ، وهو ٣١ كانون اول ( ديسمبر ) ١٩٩٩ عالم تتحكم فيه الآلة ، ويسود الحاسب الالكتروني ، ويتم فيه بسرعة خارقة اجتياز الفضاء والتنقل بين القارات بالمركبات الهوائية المتفانة ، الا ان تمسك الشخصيات بتقليدنا القديم ، الاحتفال برأس السنة الجديدة ، يعني ان العاطفة الانسانية باقية ابدا ، لم تنتف منه ، على خلاف ما يرى عدد كبير من الادباء والعلماء المتشائمين في البلاد الراسمالية ، الذين يشككون في قيمة الحضارة ، ويعتبرون ان الآلة تتناقض مع الاحاسيس الجمالية ، ونفسي على عواطف الانسان .

ولهذه القصة العلمية بالذات ابعاد سياسية تقدمية واضحة ، ايضا تجعلها اهم قصص المجموعة ، اذ تنبأ « بالتغير الكبير » الذي يحدث المولات المتحدة الاميركية ، التي يعتبرها الكاتب - عن حق - مصدر الخطر الرئيسي في عالمنا ، كما تندد بالبلاد « التي احدثت فيه قلة من الاغنياء القدرات الانتاجية وقصرتها عليهم » ، ونشيد ، في نفس الوقت ، بالاحداث الثورية الخالدة ، التي تحققت في القرن العشرين: في الاتحاد السوفياتي ، والصين ، والجمهورية العربية المتحدة .

الا ان ابرز ملامح هذه المجموعة شخصياتها الحية المناضلة ، التي تذكرنا بكثير من الشخصيات الواقعية التي تعيش السى جوارنا ، وفي كثير من بقاع الارض المناضلة .

وبهدف النضال في هذه القصص اما الى تحقيق الحرية للوطن، كما نرى في قصة « الفتاة البدوية » لما كسميليان شبير ، التي تحاول فيها الفتاة الصغيرة تحطيم حلقة التقاليد الاسرية البالية ، من اجل الانخراط في صفوف المفاشرين لتحرير الوطن الجزائري من الاستعمار . . واما الى تحقيق حياة كريمة ، نخالف حياة القهر والخوف والحاجة التي عاناها جيل كامل ، قبل وفي غضون الحرب الكبرى الثانية واعقابها ، على المستوى الاجتماعي للشخصية ، على نحو ما نجد في قصة « الام وابنها » للكاتبة الفريدا برونج ، وغيرها كثير . . واما من اجل الارتفاع بقيمة من القيم الاخلاقية ، مثل الصدق يحفظ الوعد ، في قصة « المرأة العجوز والنسر » ، وهسي قصة من ادب الاطفال ، ذات اصداء شعبية شريفة .

ان كثيرا من تجارب هذه القصص متتزع من احداث الحرب التي

جذبت ، بكل ما حملته من معاناة ودمار ، الفكر الانساني ، كما اشار  
الترجمين ، وشجنت قواه وسلحته ضد كافة الصنوف الهمجية التي  
تعرض لها الانسان في الحكم النازي .

لذلك تفت هذه المجموعة القصصية من ادب ألمانيا الديمقراطية،  
بالمعاني الانسانية التي نزر بها ، وبتصويرها لكفاح الشعب الالمانى  
ومعاناته بصفة خاصة وجهوده لتخطي المصاعب - نقف الى جوار  
الانسان ، ضد القوى المعادية للانسان : يدافع عن وجوده وحرية  
وسعادته وكفائته واحلامه ، وتحيي كفاحه ، سواء على جبهة القتال ،  
او في معتك الحياة اليومية ، حيث تتعدد صور الاغتياال النفسى،  
في مواجهة طلب القوت والكرامة والامان .

ويتراوح اهمام الكتاب بين التعبير عن صلات الشخصية  
بالعالم الخارجى ، وموافقها واستجاباتها للاحداث ، او النفاذالى  
داخلها ، وصياغة اعماقها ، ووجدانها ، وانفعالها . وكثيرا ما نجعم  
القصة الواحدة بين الساحة الواقعية ، وساحة النفس .

والمجموعة ، بذلك ، ننتمى الى « ادب المقاومة » انذى ترنفع فيمنه  
في بلادنا العربية المناضلة ضد الاستعمار والامبريالية ، ويتفاعف  
حاجتنا هذه الايام الى الالتقاء به وتقديم نماذجه الرائعة من انتاج  
العالم الحر للجماهير القارئة ، لكي يعمق وعيها بحياتها وبالتحولات  
العظيمة التي تقبل عليها ، وتتوضد معرفتها بهذه الشعوب الصديقة  
المكافحة ، مما يساعد على تحقيق الوحدة الفكرية للامة العربية ،  
وتزداد تماسكاً في صراعها المتصل من اجل التحرير ، والعدالة ،  
والتقدم .

نبيل فرج

القاهرة

★ ★

## قيثارة الريح

مجموعة شعرية : لبدر شاكر السياب

اشرف على تحقيقها : زكي الجابر - عبدالجبار البصري - سامى  
مهدي - خالد علي مصطفى

مطابع الجمهورية - وزارة الاعلام - الطبعة الاولى 1971 - بغداد)  
تضم مجموعة بدر شاكر السياب ( قيثارة الريح ) قصائد لم  
تنشر للشاعر من قبل ، وكان الشاعر قد كتبها في الاربعينات ، كما  
تشير بذلك تواريخ فصائده ، ما عدا قصيدته الجبارة ( اللعنات )  
التي يبدو انه نظمها في الخمسينات ، ابان التزامه السياسي ،  
وانخراطه في الحركة الوطنية .

والظاهرة التي يمكن تلمسها في هذه المجموعة ، من حيث الاسلوب ،  
هي ان كل شعر المجموعة مكتوب قبل قصيدته ( هل كان حيا ) ،  
والتي كتبت بأسلوب الشعر الحر ، الذي ابتدعه الشاعر السياب !  
يقول السياب في قصيدة ( يا نهر ) :

يا نهر ابن مضى الزمان بانسه والمترع العسول من كاساته  
وهل اهتدى الزمن الحفود فقل ما قد اودع الفؤود في خلواته  
قبلائته في صفتيك صرصة اهل حفظ له صدى قبلائته

وقد اشار محققو الديوان ، عند التقديم لهذه المجموعة ، بانها قد  
لا تضيف شيئاً جديدا الى تراث السياب الفني ، ولكنها قد تيسر  
الطريق لدراسة الفترة الاولى من حياته ، وتجلو بعض الجوانب  
القائمة التي تحدث الكتاب عنها . ولا تعليق لنا على ذلك سوى ان  
هذه المجموعة ، لا سيما قصيدته ( اللعنات ) قد أثرت شعس  
السياب في مرحلته الاولى ، واغنته بما حملته من افكار اجتماعية  
- فضالية مبكرة بالنسبة للشاعر .

ويبدو من المجموعة ، ان السياب كان مفرما بالشاعر الانكليزي

ورود زورث ، الذي كان يمثل التيار الرومانسي المنطف نحو الطبيعة  
في الادب الانكليزي . وما ذلك الا لاجاب السياب بهذا الشاعر ،  
ولكون موضوع الطبيعة ، مرتبطا اشد الارتباط بحياة السياب ،  
وبنفسيته ، فكان انطفاه على شعر هذا الشاعر الكبير ، فارسل  
الى روجه على البعد فصائده ( ذبول ازاهر الدفلى ، جدول جفماؤه ،  
العش المهجور ، اصيل شط العرب ، مجرى نضير الصفتين ) . يقول  
السياب من قصيدته ( ذبول ازاهر الدفلى ) :

لذع الاوام ازاهر الذفل فذوت كما يذوى سنا المقل  
كانت تعير النهر حمرتها فيضيء فيه الموج كالشعل  
كم زينت بالامس لبتته بقلاند المرجان ، والقيل  
واليوم اطفء نورها وخبا فكانها لم تند او نمل  
واليوم اصبح عقدها بدرا فرأيت جيد النهر في عطل  
ولكم مسررت بزهرة ذبلت فبكيت ، حين بكيتها ، املى

وفد كانت هذه القصائد صورة صادقة عن نفسية السياب ، تظهر  
فيها احساساته تجاه الطبيعة الفنية ، فكان احساسه بها عميما ،  
حتى انه مزج بين الطبيعة وبين حبه ، فهذه ازاهر الدفلى الذابلة  
ذكرته بحبه الذابل ، وبامله الذي بكاه !

ولذلك انطعت فصائد السياب الاولى بالرومانسية ، لا لانها  
مذهب شعري اراد الشاعر ان يجاريه ، بل لان الشاعر عاشه بكل  
دقائق وجدانه ، حتى شرب جسده بانبياء جيكور ، وماء جيكور ،  
واعتاب جيكور ! يؤكد هذا ان الشاعر لم ينفصل عن هذه المرحلة ،  
بل واصلها .. فكانت قصيدته الرائعة ( افياء جيكور المقيد الفريق ) :

ظل من النخل ، افياء من الشجر

اندى من السحر

في شاطيء نام فيه الماء والسحب ...

ظلاً كاهداً طفلاً هذه اللعب ،

نافورة ماؤها ضوءاً من القمر

اود لو كان في عيني ينسرب

حتى أحس ارتعاش الحلم ينبع من روحي وينسكب

نافورة من ظلال ، من ازاهيسر

ومن عصافير ...

وما ذلك الا لان الشاعر فد انفرم بالطبيعة ، واحس بها عميقا ،  
فانسابت كلمات ، ثم فصائد ، احتوتها مجموعاته الشعرية .

ومجموعة « قيثارة الريح » تحتوي على قصيدتين طويلتين ، الاولى  
تحمل عنوان « بين الروح والجسد » وهي قصيدة طويلة تقع في الف  
بيت ونيف ، كان الشاعر قد بعث بها الى الشاعر علي محمود طه  
المهندس ، ليبت فيها برأي ، ولكن المنية اختطفت الشاعر المهندس ،  
ولم يعرف مصير القصيدة ! ولكن محققى الديوان ، ثبتوا مائة وعشرين  
بيتاً منها جمعت من مسودة للشاعر ، ومن مجموعة « اقبال » الشعرية  
ثم من احدى الصحف العراقية .

وهذه القصيدة « بين الروح والجسد » تكاد تدور في نطاقين ،  
وتجري على لسان شاعرين ، احدهما يدافع عن فكرة تنزيه الحب  
من الشهوات ، والثاني لا يرى في الحب الا لذات لا تنتهي ، ولا يكاد  
يخرج عن كونه « جسدا » ! واليك اسوق ما يجري على لسان كل  
شاعر ، فهذا شاعر الشهوة ، يقول :

اهوى مفاتن جسمك المستسلم وهوى لذائذه مزجن بماتم  
جسد عليّ آراه بات محرماً وعلى حفير البود غير محرم  
لاطوحن بكل عرف ساند ولاعشن بكل آي محكم

ولا تهتك على الفضيلة سترها ولاصفين<sup>١</sup> لما يقول به دمي

أما شاعر الروح ، فيقول :

نأبى ( أليس ) عليّ أن تبتسما فترد قلبي هانثا متنعما  
يا صوبها الطرب الحنون ولا أرى اني سمعت ارق منه وارخما  
طف بي، لأفيس من صدك فصاندي واصوغ في شهري من حلاله منمنما  
لو عاشق دنف سواي أجهسا مثلي ، ترنت له الهوى فتنعما

أما قصيده ( اللعنات ) فهي تبلغ حوالي ( ٣٠٠ ) بيت ، وتشر للمرة الاولى .

وموضوعها يدور على الخير والشر ، ونستلهم نضال الشعوب من أجل الرفاه والقدم ، وهي من القصائد التي تحفل بالصورة ، والتعبير والالتزام بقضايا الإنسان المناضل ، وتعد من النضج ما احتونسه مجموعة ( فيثارة الريح ) .

والذي يتتبع مسار القصيدة ، يلاحظ ان نمة مباشرة فسي الاسلوب ، تبين مدى التزام الشاعر بقضايا النضال ، دون ان يخفى السيف السعدي ، الذي كان مصلنا على الرقاب . ونحن السياب لم يجرؤ - فيما يبدو - على اظهار هذه القصيدة ، فبقيت بين اورافه مطهورة ! وما ذلك الا لان اسلوب السياب ، لم يكن قد تطور بعد ، بحيث يتيح له استعمال الرمز والاسطورة اللذين نجأ اليهما فيما بعد .

أوقال (أما عن الدنيا فما برحت أيام فابيل سكرى بالدم الجاري  
« (...) ادمع الثكلى لآلؤه (...) اليها ذراعا جائع عاري  
٢- وفال ابليس ، والظلماء راعسة من بخته امعت نحو الثرى هربا  
«الارض لي.. ما عليها من ينازعي (...) الخطايا (...) للخنى نصيا

ففي هذه الابيات ، نلاحظ ان الشاعر، قد حذف بعض الكلمات، التي لم يستطع الاسلوب المباشر الا ان يظهرها ، فعمد السياب الى التعمية ، بوضع الافواس فارغة الا من نقاط !

ولكن السياب هو الذي يقول (من قصيدة انشودة المطر - ديوان انشودة المطر - دار مجلة شعر ، ١٦٣) :

أكاد اسمع العراق يذخر الرعود  
ويخزن البروق في السهول والجبال ،  
حتى اذا ما فض عنها خنمها الرجال  
لم تترك الرياح من ثمود  
في الواد من أثر .

وفي قصيدة اخرى ، من المصدر ذاته ، يقول السياب (مدينة بلا مطر ، ١٧٢) :

وفي غرفات عشتار  
نظل مجامر الفخار خاوية بلا نار ،  
ويرتفع الدعاء ، كان كل حناجر القصب  
من المستنقعات تصيح :  
(الاهثة) من التصب

تؤوب آلهة الدم ، خبز بابل ، شمس آذار

ونحن نهيم كالغرباء من دار الى دار

لنسال عن هداياها .

ويبدو ان قصيدة السياب (اللعنات) قد نظمت ابان التسيار  
الشاعر السياسي ، وانخراطه في الحركة الوطنية ، ولذلك بعد هذه  
القصيدة وثيقة هامة ، قد تلقي الضوء على فكر السياب النضالي .  
يقول السياب ، وهو يتحدث عن ثورة الفلاحين في الصين الشعبية ،  
هذه الابيات :

هيهات لا انسى ضحى غرفت آفاه في لهات المسجد النائي  
في قرية في شمال الصين لوتها ايلول ، فاستقبلتها صفحة الماء  
وأومض الدرب حتى ذاب آخره ثم اختفى غير ذكرى تعلق الرائي  
وفي موضع اخر يقول :

هذا دم الصين ! هذا جهد فائدها ذلك ابتسام الضحايا ! تلك أثمار  
تفاحة بعد اخرى لسف حمرتها عن لحظ ايلول فلاحون أحرار  
واخضلت التربة الجرداء ، وزعها بالحق فينا ، وبالقسطاس ثوار

ويتناوب احساس بان السياب ، لم يضمن قصيدة (بين الروح  
والجسد) مجموعة اشعار (فيثارة الريح) ذلك لان السياب كان قد  
ارسل هذه القصيدة الى علي محمود طه ، ولم يبق عند السياب ، غير  
جزء قليل جدا من القصيدة - الملحمة ، بحيث لا يتيح له هذا الجزء  
اليسير ان يضمنه مجموعة شعرية ! واعتقد ان محففي الديوان قد  
فاتهم ذلك .

وبعد ، فان الديوان قامت باصداره وزارة الاعلام ، بمناسبة  
الاحتفال بذكرى وفاة الشاعر ، وهي بذلك قدمت خدمة جلييلة لتراث  
السياب الشعري ، وللادب العربي في شتى اقطاره ، وهو بعد ذلك  
يزيل كثيرا من الغموض الذي اكتنف حياة السياب الاولى !

علي حسن

بعقوبة

دار السَّافِ

للنشر والطباعة والتوزيع

أربعون عاما في خدمة الكتاب

نشرا وطباعة وتوزيعا

إماتت أعمالها واشتهرت

بالرقة والإتقان والسّعة

توالي نشاطها بالتعهدات الطباعة المختلفة

بمركزها الجديد: شارع أحمد مكي - بناية جريدة الكفراف

ص.ب ٢٠٩١ - هاتف ٢٩٦٨٠٥